النعمة والحق

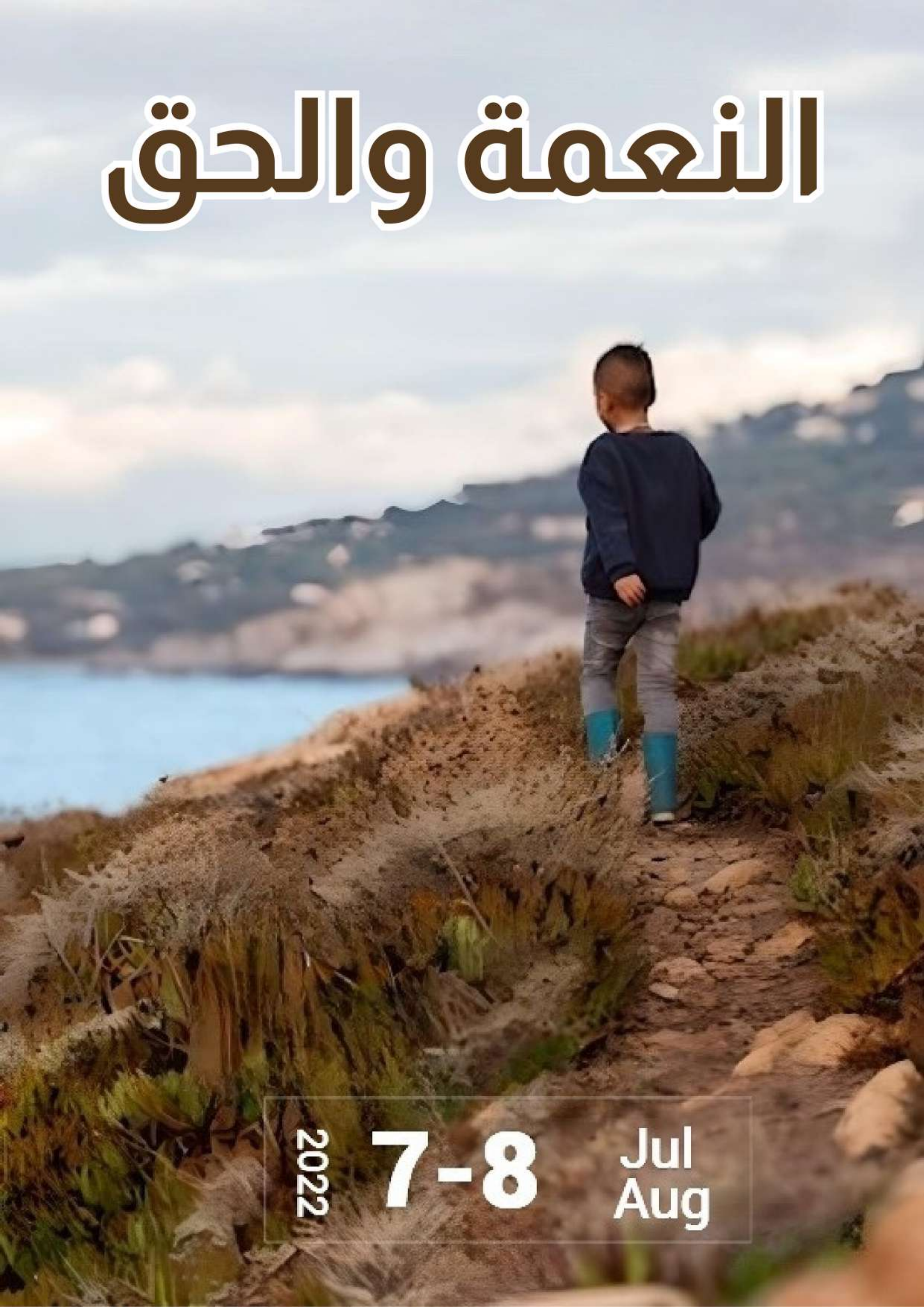

2022 7-8 Jul Aug

النعمة والحق

مجلة مسيحية تصدر مرة كل شهرين

السنة الثلاثون

يوليو وأغسطس ٢٠٢٢

العدد ١٧٨

في هذا العدد

افتتاحية العدد	لا يزال الله يعمل	١
موضوع العدد	العناية الإلهية في الماضي والحاضر والمستقبل	٣
موضوع العدد	العناية الإلهية في سفر أستير	١٢
موضوع العدد	العناية الإلهية	١٤
الأخبار السارة	قيمتنا في نظر الله	٢٧
دراسات مسلسلة	حياة بولس	٢٨
تأملات هادئة	--	٣٢
من روائع الكلمة	السيد الذي يفتخر بعبده	--

في زمان الماديات واحتقار قيمة الإنسان لنفسه ولمن حوله. .ما أروع قيمتنا في نظر الله!

اقرأ الأخبار السارة

ص ٢٧

- الاشتراك السنوي (٦ أعداد) ٣٠ جنيهاً و ١٠ دولارات في الخارج (بخلاف أجرة الإرسال بالبريد). بريد إلكتروني: gt_mag@yahoo.com
- جميع الحوالات والمراسلات على ص.ب. ١٩٧ - رقم بريدي ١٢٣١١- الإسكندرية. مع مراعاة وضوح الاسم والعنوان كاملاً.
- رقم الإيداع بدار الكتب ٦٤٦٢ لسنة ١٩٩٣ - النعمة والحق ت: ٤٢١٢٤١٩ – الإسكندرية (٠٣).

لا يزال

الله يعمل

تمر الأعوام وتأتي مليئة بالتحديات، فبعض الأحباء لم يعودوا معنا، وتسبَّبت بعض الاعتبارات الصحية في تعطيل روتين حياتنا اليومي، كما أثَّرت بعض القرارات الحكومية على جوانب من حياتنا، وأصبح العنف من حولنا أكثر انتشارًا وأشد تدميرًا. لكنَّ الصورة ليست قاتمة تمامًا. فقد تزوَّج البعض، وتكوَّنت عائلات صغيرة. كذلك، لا تزال نفوسٌ تطلب الرب.

يبدو أننا نجد العديد من الأحداث المماثلة في أيام ميلاد يسوع. فقد تحكَّم الله في شؤون العالم كي يتمِّم مقاصده وخططه، في غفلةٍ من الجميع تقريبًا عمَّا كان يحدث فيما يخص مجيء ابن الله. فعلى سبيل المثال، مَن كان يتوقع أن يجعل الله حاكمًا مدنيًّا يُصدِر مرسومًا بإجراء تعدادٍ سكانيٍّ في الوقت نفسه الذي حان فيه إنجاب مريم للمخلِّص، الأمر الذي أسفر عن رحلة شاقة إلى بيت لحم؟ غير أنَّ الله كان قد أعلن عن المكان الذي ينبغي

أن يولد فيه المسيح (ميخا ٥: ٢). نقرأ أيضًا: «وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ ٱلزَّمَانِ، أَرْسَلَ ٱللهُ ٱبْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امرأة، مَوْلُودًا تَحْتَ الناموس، لِيَفْتَدِيَ ٱلَّذِينَ تَحْتَ ٱلنَّامُوسِ، لِنَنَالَ ٱلتَّبَنِّيَ» (غلاطية ٤: ٤-٥).

كان اللّه يعمل! فقد امتلأ سمعان حماسًا عندما رأى الطفل يسوع، فبارك اللّه، ثم بارك يوسف وأمَّ الصبي أيضًا (لوقا ٢: ٢٥-٣٥). كذلك، حنة النبية «وَقَفَتْ تُسَبِّحُ ٱلرَّبَّ، وَتَكَلَّمَتْ عَنْهُ مَعَ جَمِيعِ ٱلْمُنْتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ» (لوقا ٢: ٣٨). كان هذان الشخصان الأمينان، مع آخرين أيضًا، منتظرين مجيء الرب، في إيمانٍ منهم بأن ما تنبَّأ به اللّه لا بد أن يتحقَّق.

ينطبق الأمر ذاته أيضًا على يومنا هذا. فقد أعلن اللّه في كلمته أنه ستكون هناك ضيقات متزايدة في العالم. ووجَّه تحذيرات بشأن حالة الكنيسة وتدهورها في ذلك الوقت. لذلك، فإننا نفعل حسنًا إن حَكَمنا على الأمور وفقًا للكتاب المقدس، وأصغينا بانتباه إلى تعليمات الرب. دعونا إذن نطلب الرب ونثبِّت أعيننا عليه. ودعونا نقرأ الكتاب المقدس ونصلِّي! وحينئذ، سوف نتذكَّر أن الربَّ هو فوق الكلِّ، وضابط الكلِّ، وأن رجاءنا يَكمُن فيه. ينبغي أن نكون مثل أولئك الرعاة، الذين بعدما التقوا بالمسيح المولود، كانوا «يُمَجِّدُونَ ٱللهَ وَيُسَبِّحُونَهُ عَلَى كُلِّ مَا سَمِعُوهُ وَرَأَوْهُ كَمَا قِيلَ لَهُمْ» (لوقا ٢: ٢٠). فليتنا نتلذَّذ ببركات الرب فيما نحن منتظرون اليوم الذي فيه نكون معه.

العناية الإلهية

في الماضي، والحاضر، والمستقبل

جلس فيلكس، الوالي الروماني، على كرسيه، متأهِّبًا لسماع دفاع السجين بولس. كان المشتكون على بولس، وهم رؤساء اليهود من أورشليم، حاضرين أيضًا، وكان من المفترَض أن يتحدَّثوا هم أولاً في المحاكمة. وقد عيَّنوا خطيبًا محترفًا يُدعَى ترتلس لرفع دعواهم. وكما جرت العادة، ابتدأ ترتلس مرافعته بمقطع منمَّق من المديح لفيلكس الوالي قائلاً: «إِنَّنَا حَاصِلُونَ بِوَاسِطَتِكَ عَلَى سَلاَمٍ جَزِيلٍ، وَقَدْ صَارَتْ لِهَذِهِ ٱلأُمَّةِ مَصَالِحُ بِتَدْبِيرِكَ. فَنَقْبَلُ ذَلِكَ أَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ فِيلِكْسُ بِكُلِّ شُكْرٍ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَكُلِّ مَكَانٍ» (أعمال الرسل ٢٤: ٢-٣).

مع أن هذه اللغة المنمَّقة ليست هي محور تركيزنا الرئيسي، لكنها تمدُّنا بنقطة انطلاق في دراستنا لموضوع العناية الإلهية. ففي نوعٍ من التملُّق للوالي، صرَّح ترتلس بأن السلام الجزيل والرخاء تثبَّتا بفعل "تدبيره" (أو "بصيرته" كما جاءت الكلمة في بعض الترجمات الأخرى). وبغض النظر عن نفاق ترتلس، الفكرة المقصودة هنا هي أن ترتلس نسب إلى فيلكس الفضل من جهة تدخُّله الإيجابي في شؤون الأمة.

هذا ما نقصده نحن المؤمنون، لكن ربما بمعنى أعمق كثيرًا، عندما نستخدم تعبير "العناية الإلهية"، أو "طرق عناية الله"، أو فقط "العناية" في بعض الأحيان. فإن إله الكتاب المقدس ليس مجرد إله متفرج، لكنه مشارك فاعل وإيجابي، يتدخل إيجابيًّا في العالم الذي خَلَقه.

المعنى الكتابي للعناية الإلهية

تأتي الكلمة الإنجليزية Providence، التي تُترجَم إلى "العناية الإلهية"، من الكلمة اللاتينية providential، التي تفيد معنى من قبيل "الرؤية المستبقة". عبَّرت اللغة اليونانية (بما في ذلك أعمال الرسل ٢٤: ٢ الذي اقتبسناه أعلاه) عن تلك الفكرة باستخدام كلمة paranoia، التي تحمل معنى "التفكير المستبق". وعندما يُستخدَم تعبير "العناية الإلهية"، بصفته مصطلحًا كتابياً يتعلَّق بطبيعة الله، فإنه يشير إلى ما هو أكثر كثيرًا من مجرد قدرة الله على تدبير وتوفير الأشياء لشعبه، بل تعني عناية الله أنه قادرٌ تمامًا سواء على أن يرى مقدَّمًا، أو يخطِّط مقدَّمًا. فلدى الله رغبات لأجل العالم، وهو يتدخَّل في العالم في سبيل تحقيق تلك الرغبات.

الكلمة التي تُترجَم إلى "العناية الإلهية" لم تأتِ في الكتاب المقدس إلا نادرًا. وتُعَد الإشارة إليها في أعمال الرسل ٢٤: ٢ هي المرة الوحيدة التي ذُكِر فيها لفظ العناية (التدبير) في العهد الجديد. بل وإن بعض ترجمات هذا النص لا تستخدم تلك الكلمة. علاوة على ذلك، وكما رأينا فيما سبق، تشير هذه الآية إلى حاكم بشري، وليس إلى الله. ترد في أيوب ١٠: ١٢ إشارةً إلى رعاية الله الحافظة. وبعض الترجمات (منها الترجمة العربية البستاني-فانديك) استخدمت بالفعل كلمة "العناية". لكن عدا ذلك، كان هذا اللفظ غائبًا إلى حد كبير عن صفحات كلمة الله.

ومع أن هذا اللفظ ليس لفظًا كتابيًّا بارزًا، تُعَد "العناية الإلهية" واحدًا من أشمل الموضوعات على الإطلاق في الكتاب المقدس. فهي تشير إلى:

- نشاط اللّه في العالم الطبيعي.
- عمله في سبيل فداء الخطاة.
- تدخُّله من أجل إرشاد القديسين وحمايتهم.
- خططه للعالم الآتي.

جرى تأليف الكثير من الكتب الضخمة في محاولةٍ لسبر أعماق طرق عناية اللّه، وكُتِبت تسبحات حمدٍ في محاولةٍ للوصول إلى قمَّة هذه العناية. وبالتالي، فإن تمكَّن هذا المقال فقط من أن يقودنا إلى قدر أكبر قليلاً من التقدير والإدراك للعناية الإلهية، لن نكون بهذا قد أهدرنا الوقت.

العناية الإلهية العامة

يشير دارسو الكتاب المقدس إلى نوعين من العناية الإلهية: العناية العامة، والعناية الخاصة. تُظهِر عناية اللّه العامة في العالم الطبيعي أنه قطعًا إلهٌ محبٌّ. فقد صمَّم هذه الأرض كي تكون ملائمة للحياة على نحو مثالي ودقيق. فلكلِّ شيء مكانه والغرض منه. وتتحدَّث الكثير من المقاطع الكتابية عن هذا النوع من العناية الإلهية. على سبيل المثال، يقول مزمور١٠٤ :٢٤، «مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَارَبُّ! كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ». يصف هذا المزمور أساسات الأرض، وتخوم البحار والأنهار، وعيون المياه التي تسقي حيوان البرِّ والطيور، والعشب والنباتات التي توفر الطعام للبهائم والإنسان، والأشجار المشبَّعة بالعصارة، التي تعشِّش فيها العصافير، وحيوانات الوعر التي، عندما تغرب الشمس، تنهض للبحث عن فريستها.

ويحوي سفر أيوب المزيد من الأمثلة أيضًا. فعلى سبيل المثال، تحدث أليهو عن مجد اللّه الذي يتجلّى في أحوال الطقس، بدءًا من دورة المياه، إلى الأعاصير والعواصف، ثم إلى الثلج والبَرَد (أيوب ٣٦: ٢٦-٣٧: ٢٤). وبعد ذلك، سرد اللّه نفسه الكثير من العجائب الخاضعة لتحكُّمه، مثل ينابيع البحر، وطبيعة الضوء، وطريق الصواعق، وحركة النجوم (أيوب ٣٨). وبخصوص المملكة الحيوانية، تحدث اللّه عن ولادة الماعز والغزلان (الأيائل)، وترويض الحمار الوحشي، وقوة الثور الوحشي، وكبرياء النعامة، وشجاعة الفرس وثقته، وحِدَّة بصر النسر. كلُّ هذه صُمِّمت ورُتِّبت من اللّه لخير كلِّ المخلوقات (أيوب ٣٩). الأكثر من ذلك أيضًا أن لا أحد يستطيع ترويض "بهيموث" أو "لوياثان"، تلك المخلوقات الضخمة والعظيمة في البرِّ والبحر، والتي يرى الكثيرون أنها تشير إلى الديناصورات. لكنَّ اللّه يعرف طرقها (أيوب ٤٠-٤١). فكلُّ جوانب الطبيعة، من علم الفلك إلى علم الحيوان، متكاملةٌ تمامًا، ومدموجةٌ معًا، في قوة، وجمال، وتنوُّع.

نستطيع التأمل أيضًا في القوانين العامة للطبيعة، لنكتشف أنها راقيةٌ في بساطتها، ورائعةٌ في تعقيدها في الآن ذاته. وبمقدور الإنسان أن يكتشفها ويُخضِعها للاختبار بسبب اتساقها المأمون. فمثلاً، يمكن قياس قانون الجاذبية الأرضية وخصائص الذرة في اتساق وثبات. كذلك، يستطيع العلماء أن يطلقوا مركبةً فضائيةً إلى الموقع المحدَّد الذي سيصبح كوكب المريخ فيه بعد بضعة أشهر. وتُعَد حساباتهم هذه صحيحةً لأن قوانين حركة الكواكب موثوقةٌ ومتسقةٌ للغاية. فالإله الذي أوجد الكون قد عيَّن تناسُقه المنظَّم، حتى أنَّ بعض الاكتشافات الجديدة لا تزال تكشف عن براعة اللّه وحكمته.

كانت ذروة عمل الله كخالقٍ هي أنه جَبَل الجنس البشري، ذكرًا وأنثى، على صورته. فلأجل منفعتنا، استُعلِنت كلُّ تلك التفاصيل الأخرى المختصَّة بعناية الله العامة. قال بولس في أعمال الرسل ١٤: ١٧ إن الله «لَمْ يَتْرُكْ نَفْسَهُ بِلا شَاهِدٍ، وَهُوَ يَفْعَلُ خَيْرًا: يُعْطِينَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ أَمْطَارًا وَأَزْمِنَةً مُثْمِرَةً، وَيَمْلأُ قُلُوبَنَا طَعَامًا وَسُرُورًا». فإن العالم المخلوق ليس مجرد تعبيرٍ عن تصميمٍ بديعٍ، لكنه أيضًا شهادةٌ من الله على اكتراثه بنا. قال بولس إن مسرَّات الحياة الطبيعية واليومية تؤثِّر ليس فقط في بطوننا، بل في قلوبنا أيضًا. فإن الطعام وحده من شأنه أن يحافظ على أجسادنا المادية. لكن، إذا كانت أجسادنا فقط هي التي تهمُّ، فلمَ نحن مهتمون أيضًا بالفرح، والجمال، والعدالة، والحب؟ مثل هذه الأسئلة تجعلنا ندرك أن العالم الطبيعي ليس هو كلُّ شيء، بل إن عناية الله العامة توجِّه أنظارنا إلى ما يفوق ذلك.

العناية الإلهية الخاصة

إذا كانت عناية الله العامة تكشف عن كماله التام في تكوينه لكلِّ شيء، تكشف عنايته الخاصة عن تداخُله التام في توجيه وإدارة كلِّ شيء. يمكن تناوُل هذا الموضوع بأكثر من طريقة:

أولاً، يتدخَّل الله في خليقته في بعض الأحيان، مغيِّرًا المسار الطبيعي للأمور، كي يُظهِر أنه لا يزال متحكِّمًا في كلِّ شيء. يتجلَّى ذلك في معجزات الكتاب المقدس، أي في أعمال الله القديرة التي بموجبها كان يعطِّل قوانين الطبيعة بصورة مؤقَّتة من أجل تحقيق غرض معيَّن. على سبيل المثال، مع أن الله وضع تخومًا للبحار، لكنه أجرى تعديلاً مؤقتًا عليها عند البحر الأحمر، حتى يتسنَّى لشعب إسرائيل السير على اليابسة «وَٱلْمَاءُ سُورٌ

لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ» (خروج ١٤: ٢١-٢٢). كذلك، مع أن اللّه وضع في العلم قانون حفظ الكتلة، الذي ينص على أن المادة لا تفنى ولا تُستحدَث، بارك الرب يسوع السمك وبضعة أرغفة من الخبز مشبعًا الآلاف (متى ١٤: ١٣-٢١؛ ١٥: ٣٢-٣٣).

ومع أن التكوين العصبيّ لعصبٍ بصريٍّ تالف يبدو مستديمًا، شفى الرب يسوع رجلاً أعمى منذ ولادته، فقط بأن طلى عينيه بالطين، ثم أمره بأن يذهب ويغتسل (يوحنا ٩: ١-٧).

إن اللّه لا يصنع المعجزات لمجرد إبهارنا، كما لو كان يعرض لنا خدعًا استعراضية مسلية، لكن المعجزات هي بطاقة تعريفٍ باللّه، وبرهانٌ على حضوره الإلهي. وعندما أشار يوحنا في إنجيله إلى تلك الأحداث، لم يستخدم الكلمة اليونانية المعتادة التي تُترجَم إلى "معجزة" (dunameis، ومعناها "أفعال قوة" أو "قوات")، لكنه استخدم كلمة أخرى (semeion)، ومعناها "علامة" أو "مؤشر". فإن الغرض من تدخُّل اللّه في الطبيعة هو توجيه أنظارنا إليه.

بالإضافة إلى المعجزات في الطبيعة، يوجد جانب آخر من العناية الإلهية الخاصة، ألا وهو قيادة اللّه المهيمنة لظروف البشر. يؤكِّد رومية ٨: ٢٨ أن «كُلَّ ٱلأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ ٱللهَ». حتى أن اللّه يستطيع أيضًا أن يستخدم أفعال الخطاة الآثمة من أجل تتميم طرقه المستقيمة. وتُعتَبَر حياة يوسف مثالاً رائعًا على ذلك. فقد قصَدَ اللّه من الأساس أن يسهم يوسف في الحفاظ على حياة يعقوب أبيه وإخوته. لكنَّ إخوة يوسف باعوه عبدًا للمصريين. وهناك اتُّهِم ظلمًا، وسُجِن لفترة زمنية طويلة. وعندما أُطلِق سراح واحدٌ من السجناء الآخرين فجأةً، وعد هذا الرجل

يوسف بأن يَذكُره أمام فرعون، لكنه نسيه فور خروجه من السجن، وطوال عامين آخرين. ورغم ذلك، أدَّت كلُّ هذه الأحداث في النهاية إلى تلك اللحظة المثالية، عندما أُطلِق سراح يوسف من السجن، ورُفِع شأنه ليصير الرجل الثاني في المملكة. وبتولِّيه هذا المنصب، استطاع أن يحافظ بالفعل على حياة الكثيرين، من بينهم عائلته، من مجاعة قاسية ضربت البلاد.

كان يوسف مدركًا تمامًا أن العناية الإلهية كانت عاملةً في حياته، إذ قال لإخوته لاحقًا: «لَيْسَ أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمُونِي إِلَى هُنَا بَلِ ٱللهُ». وأضاف بعد ذلك أيضًا: «أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا، أَمَّا ٱللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا ... لِيُحْيِيَ شَعْبًا كَثِيرًا» (تكوين: ٨؛ ٥٠: ٢٠). وبالتالي، فبغض النظر عن نوايا البشر، كانت مقاصد الله تتكوَّن وتتبلور دائمًا من وراء الستار.

نجد مثالًا آخر لعناية الله الخاصة في حياة ثامار، كنَّة يهوذا (تكوين ٣٨). فقد تزوَّجت ثامار أولًا من بكر يهوذا، ثم من ابنه الثاني، لكن مات كلاهما. وبعدما حدث ذلك، رفض يهوذا أن يعامل ثامار معاملةً كريمةً. وبالتالي، ففي محاولةٍ منها لتحقيق العدالة، ارتدت زيَّ زانية، وأغوت يهوذا، الأمر الذي نتج عنه إنجابها توأمين. ومع أن كلا من يهوذا وثامار ارتكب تصرُّفات أنانية وغير أخلاقية، اختار الله واحدًا من توأمي ثامار ليكون من الأسلاف الأرضيين للرب يسوع (متى ١: ٣). فمع أن الله يدين أفعالنا الخاطئة، لكنَّ خطايانا لن تعيق أبدًا نعمة عنايته.

يقودنا هذا الجانب من العناية الإلهية إلى أن نتناول موضوعًا آخر متصلًا بهذا الموضوع، ألا وهو العلاقة بين اختيار الله السيادي ومسؤولية الإنسان. فإن الله لم يؤيِّد قط خطايا إخوة يوسف، أو خطية يهوذا وثامار. فإن مشيئته الأدبية تدعو شعبه دائمًا إلى أن يكونوا قديسين؛ وللخطية دائمًا

عواقبها، سواء في هذه الحياة أو في الحياة الآتية. لكن الله، في عنايته، يستخدم خيارات الإنسان الخاطئة في تتميم مقاصده. تحدَّث الرب يسوع عن فعل الخيانة الذي تعرَّض له قائلاً: «إِنَّ ٱبْنَ ٱلإِنسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ، وَلَكِنْ وَيْلٌ لِذَلِكَ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي بِهِ يُسَلَّمُ ٱبْنُ ٱلإِنسَانِ. كَانَ خَيْرًا لِذَلِكَ ٱلرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُولَدْ!» (مرقس ١٤: ٢١). فبموجب علم الله المسبق، وعنايته الإلهية، عيَّن الله أن يسلَّم المسيا. لكن، هل كان يهوذا، التلميذ الذي أسلمه، مرغَمًا على فعل ذلك؟ كلا البتة! فقد كان يهوذا مسؤولا عن خياراته.

ربما نشعر ببعض الارتباك عندما نفكِّر في أن كلاً من سيادة الله ومسؤولية الإنسان صحيح. نقرُّ بذلك بكلِّ حرية، لأننا لسنا مدعوِّين إلى حلِّ كلِّ خيوط هذا اللغز. ومع ذلك، نستطيع أن نتقبَّل هذه الحقيقة! فإن الله، في عنايته، قادرٌ أن يختار أن يحوِّل اللعنة إلى بركة. لكن، علينا ألا نستخدم عنايته السيادية عذرًا لسلوكنا الخاطئ.

قصد الله الأساسي

يتطرَّق الجانب الثالث من عناية الله الخاصة إلى مقاصده الأساسية للكون. يتحدث أفسس ١: ٩ عن «سِرِّ مَشِيئَتِهِ، حَسَبَ مَسَرَّتِهِ ٱلَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ». وتؤكد لنا هذه الآية أن الله «قصد في نفسه» مشيئته السيادية منذ زمان بعيد. فإنه قد عيَّن وقرَّر بالفعل ما يجب أن يُعمَل، وهو سوف يتمِّمه. كذلك، إن هذا القصد هو «حَسَبَ مَسَرَّتِهِ». فإن مقاصد الله تنبع دائمًا من رغبته في مباركة ما يمثِّل موضوع نعمته وإحسانه. وما هو موضوع نعمة الله وإحسانه؟ تجيب الآية التالية عن ذلك، قائلةً إن الله يريد أن يبارك الكون بأكمله، أي السماوات والأرض التي خلقها. وما هي مسرَّة

مشيئة الله لهذا الكون؟ قصد الله أن «يَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي ٱلْمَسِيحِ، مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى ٱلأَرْضِ» (أفسس ١: ١٠). وما من يوم، منذ بدء العالم، سيفوق في روعته ذلك اليوم العجيب الذي فيه سوف يجتمع كلّ شيء معًا تحت سلطان ورئاسة يسوع المسيح. وفي ذلك اليوم، ستُتمّم كلّ كلمة كُتِبت عنه، وسيُقضَى على كلّ عنصرٍ فاسدٍ وتأثيرٍ غير نقيٍّ.

لطالما كان غرض إبليس هو أن يُحبِط عناية الله، ويمنع المسيح من شغل هذه المكانة. فإن الغرض من أفعال القتل والخداع التي يمارسها الشيطان هو تلطيخ صنعة يدي الله، وتعطيل وعوده، وإبادة شعبه، وذلك حتى تخيب مقاصده. لكن، لا يمكن إحباط أهداف العناية الإلهية؛ بل في حقيقة الأمر، نستطيع أن نقول إن الله يتمجَّد من خلال المقاومة التي يُظهِرها إبليس. فإن قدرة الله على الغلبة إنما تُظهِر عظم حكمته وجلال قدرته. فقد دخلت الخطية والموت إلى العالم بخداع إبليس، لكن المسيح، ٱلْكَائِنُ عَلَى ٱلْكُلِّ إِلَهًا مُبَارَكًا إِلَى ٱلأَبَدِ، قد رُفِّع الآن، ليس فقط رئيسًا، بل مخلِّصًا أيضًا (أعمال الرسل ٥: ٣١). عبَّر بول جيرهارد (١٦٠٧-١٦٧٦) عن ذلك في ترنيمته الألمانية، التي ترجمها جون ويسلي إلى الإنجليزية، قائلاً: "وفي ملء الدهشة والذهول، سنرى قريبًا شدة حكمته، وقوة يده".

يجوز لنا الآن أن نطبِّق هذا الحق على أنفسنا. فإن الله، الذي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ، يعمل فينا أيضًا. فإن الذي ابتدأ فينا عملاً صالحًا، لن يتخلَّى البتة عن مقاصده لأجلنا (فيلبي ١: ٦). فهو يعمل بقوة عظيمة علاوة على ذلك، إن عمله فينا اليوم سيسهم، في واقع الأمر، في استعلان غنى نعمته ولطفه في الدهور الآتية. وسوف ينال المؤمنون امتياز إعلان طرق العناية الإلهية للكون، قائلين: "انظروا ما فعله فيَّ!"

العناية الإلهية

في سفر أستير

إن موضوع العناية الإلهية موضوعٌ مشجِّعٌ للغاية، لأنه يعني أن اللّه فكَّر وحسب حساب كلِّ شيء، وأنه يتغلَّب على كلِّ العقبات. وبالرجوع إلى ترنيمة جيرهارد مرة أخرى، نستطيع أن نقول بكلِّ ثقة إنه: «في كلِّ شيء متحكِّم، والكلُّ يخدم قدرته، وكلُّ أعماله بركة، وسبيله نورٌ نقيٌّ».

كمؤمنين، نحن نؤمن بالعناية الإلهية. ونقصد بالعناية الإلهية أن إلهنا يعمل من وراء الستار لمجده، ولخيرنا أيضًا. فإن قلبه الحنون وعينيه الساهرتين دائمًا نحونا، ويده القديرة ممدودة لنا. فإننا نقرُّ بسرور بأن كلَّ الأشياء تحت سيطرته؛ «وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ ٱلْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ ٱللهَ، ٱلَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ» (رومية ٨: ٢٨).

في سفر أستير، نرى العناية الإلهية بشكل ملحوظ. مع أن اسم اللّه لم يُذكَر على الإطلاق في هذا السفر. وكم من الرائع أن نرى اللّه في هذا السفر وهو يعمل من وراء الستار ليحفظ شعبه.

في الأصحاح الأول، قام الملك أحشويرش بخلع وشتي، الملكة الأممية، عن عرشها. هل تعتقد أن اللّه كان له دخلٌ في ذلك؟ ثم في الأصحاح الثاني،

نقرأ أنه «كَانَ فِي شُوشَنَ ٱلْقَصْرِ رَجُلٌ يَهُودِيٌّ ٱسْمُهُ مُرْدَخَايُ ... رَجُلٌ يَمِينِيٌّ ... وَكَانَ مُرَبِّيًا لِهَدَسَّةَ أَيْ أَسْتِيرَ بِنْتِ عَمِّهِ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهَا أَبٌ وَلا أُمٌّ. وَكَانَتِ ٱلْفَتَاةُ جَمِيلَةَ ٱلصُّورَةِ وَحَسَنَةَ ٱلْمَنْظَرِ، وَعِنْدَ مَوْتِ أَبِيهَا وَأُمِّهَا ٱتَّخَذَهَا مُرْدَخَايُ لِنَفْسِهِ ٱبْنَةً» (أستير ٢: ٥، ٧)

كانت أستير يتيمة، مثلها مثل العديد من الأطفال في العالم اليوم. وما هي الفرص التي كانت متاحة أمام أستير كي تصبح ملكة؟ ومَن الذي وضع في قلب مردخاي أن يتخذ هذه الفتاة الصغيرة لنفسه ابنةً؟ كذلك، من الذي دبّر لمردخاي فرصة عمل في القصر الملكي؟

اختيرت أستير من بين المرشحات للمُلك. وقد أوصاها عمُّها مردخاي ألا تُخبر أحدًا عن شعبها أو جنسها، فأطاعته أستير. «فَأَحَبَّ ٱلْمَلِكُ أَسْتِيرَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ ٱلنِّسَاءِ، وَوَجَدَتْ نِعْمَةً وَإِحْسَانًا قُدَّامَهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ ٱلْعَذَارَى، فَوَضَعَ تَاجَ ٱلْمُلْكِ عَلَى رَأْسِهَا وَمَلَّكَهَا مَكَانَ وَشْتِي» (أستير ٢: ١٧).

والآن، ها هي الفتاة اليهودية، التي فقدت أباها وأمها في سنٍّ مبكرة، تضع تاج المُلك على رأسها. فيما سبق، طرحنا السؤال التالي: ما الفرص التي كانت متاحة أمام أستير لتصبح ملكة؟ نُجيب عن هذا السؤال بالتأكيد بالكلمات التي قالها الرب يسوع: «عِنْدَ ٱلنَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ، وَلَكِنْ لَيْسَ عِنْدَ ٱللهِ، لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ ٱللهِ» (مرقس ١٠: ٢٧).

العناية الإلهية

«عَجِيبَةٌ هَذِهِ ٱلْمَعْرِفَةُ»

المزمـــور ١٣٩ هـــو مقطـــعٌ كتـــابيٌّ عجيـــبٌ ومـــذهلٌ. فهـــو يصـــف بأســـلوب فريـــد لا مثيـــل لـــه صـــفات اللّه الجليلـــة، الـــتي دفعـــت داود إلى أن يقـــف في تعجُّـــب أمـــام حضـــرته، تمامًـــا مثلمـــا تفعـــل بنـــا اليـــوم. وإن التعبـــير «ٱمْتَـــزْتُ عَجَبًـــا» (الآيـــة ١٤) يحـــوي ضـــمنًا إشـــارةً إلى مهـــارة خالقنـــا، الـــتي أبرزتهـــا كلمـــة "صَـــانِعًا" (أمثـــال ٨: ٣٠، "كَصَـــانِعٍ مَـــاهِرٍ" بحســـب الترجمـــة العربيـــة المبسَّـــطة). وإن عظمـــة هـــذا الخـــالق، وقيمتـــه المذهلـــة، تُفهَمـــان ضـــمنًا مـــن الكلمـــة الإنجليزيـــة nursling ("طفـــلٌ رضـــيعٌ"، بحســـب ترجمـــة جـــون نيلســـون داربي لكلمـــة "صـــانعًا" في أمثـــال ٨: ٣٠). هـــذه الأفكـــار تُعِـــد المســـرح لتناوُل موضـوع العناية الإلهية، الذي هو موضوع هذا المقال.

لنتأمَّـــل في ســـياق المزمـــور ١٣٩. في المزمـــور ١٣٧، نجـــد وصـــفًا للخـــبرات المروِّعـــة الـــتي واجههـــا الشـــعب في الســـبي البـــابلي. كـــانـــت هـــذه التجـــارب جـــزءًا مـــن تـــدريب اللّه لشـــعبه، نظـــير مـــا تفعلـــه تجـــارب مماثلـــة في يومنـــا هـــذا. مثـــل هـــذا

التدريب يقودنا إلى التفتيش عن مواردنا في كلمة اللّه – كما نقرأ في المزمور ١٣٨ – والاتكال عليه بالكامل. «لأَنَّكَ قَدْ عَظَّمْتَ كَلِمَتَكَ عَلَى كُلِّ ٱسْمِكَ» (مزمور ١٣٨: ٢). يعني ذلك أن اللّه يُعلِي من قيمة كلمته فوق ذاته أو فوق اسمه! يساعدنا ذلك أن ندرك، وإن كان بدرجة محدودة، الأهمية المذهلة التي تمثِّلها كلمة اللّه المكتوبة، تلك الكلمة التي تمتُّ للّه بصلة وثيقة.

ثم يعظِّم المزمور ١٣٩ من اللّه ذاته، ومن:

١. وجودُه الكلي - فهو موجودٌ دائمًا في كلِّ مكان في الآن ذاته.

٢. علمُه الكلي - فهو يَعلَم كلَّ شيء، طوال الوقت، عن أي إنسان، وأي شيء، وأي مكان، بل ويَعلَم السرائر أيضًا.

٣. قدرته الكلية - فهو قادرٌ أن يفعل كلَّ ما يشاء.

هذه الصفات الإلهية جميعها تفوق الإدراك البشري. ومع ذلك، فإن المزمور ١٣٩ يشيد بها. فاللّه يعرف جلوسنا وقيامنا، ويفهم أفكارنا. وينطبق ذلك أيضًا على كلِّ إنسان عاش يومًا أو سوف يعيش (مزمور ١٣٩: ٢). علاوة على ذلك، يعرف اللّه نوايانا وعاداتنا (الآية ٣)، وكلَّ أفكارنا، وكلامنا، وأفعالنا أكثر ممَّا نعرفها نحن أنفسنا (الآية ٤). فاللّه يعرف كلَّ شيء، بل ويوجِّهنا في كلِّ شيء (الآية ٥). «عَجِيبَةٌ هَذِهِ ٱلْمَعْرِفَةُ» (الآية ٦). ولأننا كائنات محدودة، لن يسعنا البتة أن ندرك هذا العلم الكلي.

وإلى أين يمكن أن نذهب لنهرب من الوجود الكلي للّه؟ فلا يمكن للسماء أو الهاوية، أو للهواء أو البحر، أو للظلمة أو النور أن تحجبنا عن محضره وسلطانه (الآيات ٧-١٢). وإن التفكير في تلك الأمور، ولا سيما في علاقتها بخلقنا ونمونا، يدفعنا إلى تقديم التسبيح والشكر. فقد كان اللّه يعرفنا حتى من قبل أن يُحبَل بنا في الرحم. وقد تحكَّم في كلِّ مرحلة من مراحل نمونا الجنيني، بل وخطط كلَّ أحداث حياتنا (الآيات ١٣-١٦). «مَا أَكْرَمَ أَفْكَارَكَ يَا ٱللهُ عِنْدِي! مَا أَكْثَرَ جُمْلَتَهَا! إِنْ أُحْصِهَا فَهِيَ أَكْثَرُ مِنَ ٱلرَّمْلِ» (الآيتان ١٧-١٨).

في ضوء كلِّ ذلك، ينتظر اللّه استجابةً منا، أينما كنَّا. ولهذا السبب، كان هذا المزمور موجَّهًا «لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ». ويليق بهذه الأفكار والكلمات أن تتوافق مع رئيس المسبِّحين، أو قائدهم، أي الرب يسوع (انظر عبرانيين ٢: ٩-١٣، ولا سيما الآية ١٢).

"ٱخْتَبِرْنِي يَا ٱللهُ"

إن التأمُّل في قداسة اللّه جعل داود أشد وعيًا بشرِّه وفساده (انظر مزمور ٣٢، ٥١، ١٣٩). ويجب أن ينعكس هذا علينا نحن أيضًا، لأن إدراكنا لطبيعة اللّه سيجعلنا نخضع له، ونشتهي القداسة، تائقين إلى معرفةٍ أفضل بهذا الإله المذهل، والكليِّ العلم. «ٱخْتَبِرْنِي يَا ٱللهُ وَٱعْرِفْ قَلْبِي. ٱمْتَحِنِّي وَٱعْرِفْ أَفْكَارِي. وَٱنْظُرْ إِنْ كَانَ فِيَّ طَرِيقٌ بَاطِلٌ، وَٱهْدِنِي طَرِيقًا أَبَدِيًّا» (الآيتان ٢٣-٢٤).

ربما من أكثر صفات اللّه إثارةً للرعب هي أنه يعرف كلَّ شيء عنا. كلَّ شيء! فهو قد اختبرنا وعرفنا. فبما أن اللّه كليُّ الوجود وكليُّ العلم، لا يمكن لشيء أن يفلت من معرفته الواعية بنا. فهو يلاحظ أنشطتنا العادية (الآية ٢)، ويعرف أعمق أفكارنا. «مَسْلَكِي وَمَرْبَضِي ذَرَّيْتَ، وَكُلَّ طُرُقِي عَرَفْتَ» (الآية ٣). الكلمة العبرية التي تُرجِمت هنا إلى "ذَرَّيْتَ" (الآية ٣) توحي بأن اللّه يرى الكلمات وهي تتكوَّن على ألسنتنا، من قبل حتى أن نبدأ في النطق بها (الآية ٤). يعني ذلك أننا مكشوفون أمامه، وأننا لا يمكن أن نخدعه بأيِّ شكل. فهو يعرف ما سنفكر فيه، ولا يمكن أن نخفي شيئًا عنه. فاللّه يعرف كلَّ الأمور التي نظن أننا فقط مَن نعرفها عن أنفسنا، بل ويعرف حتى تلك الأمور التي لا نعترف بها لأنفسنا!

علاوة على ذلك، اللّه موجودٌ في كلِّ مكان حول كلِّ واحدٍ منا (الآيات ٧-١٠)، أينما كنَّا، أو أينما يمكن أن نكون. فهو يملأ كلَّ مكان، ولا يوجد مفرٌّ منه. ولذلك، لا يسعنا أن نختبئ من اللّه. فإنه موجودٌ أينما ذهبنا، كما قال الرسول بولس ذات مرة: «لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ» (أعمال الرسل ١٧: ٢٨). يصعب إدراك ذلك، تمامًا مثلما يصعب إدراك التصريح التالي: «لأَنَّ ٱلْمَسِيحَ، إِذْ كُنَّا بَعْدُ ضُعَفَاءَ، مَاتَ فِي ٱلْوَقْتِ ٱلْمُعَيَّنِ لأَجْلِ ٱلْفُجَّارِ. فَإِنَّهُ بِٱلْجَهْدِ يَمُوتُ أَحَدٌ لأَجْلِ بَارٍّ. رُبَّمَا لأَجْلِ ٱلصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضًا أَنْ يَمُوتَ. وَلَكِنَّ ٱللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ ٱلْمَسِيحُ لأَجْلِنَا» (رومية ٥: ٦-٨). فإن اللّه يحبُّنا رغم الحال الذي أصبحنا عليه. ولأنه يعرفنا

كمؤمنين، فقد أعطانا الحياة الأبدية في ابنه. هذا يفوق إدراكنا. لكن يومًا ما، سنَعرِف كما عُرِفنا، عندما نصير بالفعل مثلما يريدنا هو أن نكون (ايوحنا ٣: ١-٣)

العناية الإلهية

العناية الإلهية معناها أن اللّه هو الإله الذي "يدبِّر"، أو الذي "يرى"، كما جاء في الترجمة الحرفية للنص العبري. يرد مثالٌ لذلك في تكوين ٢٢، حيث تكرَّر هذا الفعل خمس مرات:

١. «وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَأَبْصَرَ ٱلْمَوْضِعَ مِنْ بَعِيدٍ» (الآية ٤)

٢. «وَكَلَّمَ إِسْحَاقُ إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ وَقَالَ: يَا أَبِي!. فَقَالَ: هَأَنَذَا يَا ٱبْنِي. فَقَالَ: هُوَذَا ٱلنَّارُ وَٱلْحَطَبُ، وَلَكِنْ أَيْنَ ٱلْخَرُوفُ لِلْمُحْرَقَةِ؟. فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: ٱللهُ يَرَى لَهُ ٱلْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ٱبْنِي. فَذَهَبَا كِلاهُمَا مَعًا» (الآيتان ٧-٨)

٣. «فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكًا فِي ٱلْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ، فَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ ٱلْكَبْشَ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضًا عَنِ ٱبْنِهِ» (الآية ١٣)

٤. «فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ ٱسْمَ ذَلِكَ ٱلْمَوْضِعِ يَهْوَهْ يِرْأَهْ» (الآية ١٤)

٥. «حَتَّى إِنَّهُ يُقَالُ ٱلْيَوْمَ: فِي جَبَلِ ٱلرَّبِّ يُرَى» (الآية ١٤)

في كل الآيات الخمس أعلاه، كان الفعل العبري واحدًا، وهو الفعل RaAH. يساعدنا ذلك لنفهم أن كلاًّ من الفعل "يرى" أو "يدبِّر"، وتعبير "العناية

الإلهيـــة". يتعلــق برؤيــة الله للأمــور وتــدبيره لهــا، الأمــر الــذي يشـــمل وضـــع الخطط واتخاذ الإجراءات اللازمة.

تــوحي العنايــة الإلهيــة بــأن الله هــو الإلــه الخــالق، الــذي يشــرف علــى خليقتــه، ويـــتمِّم خططـــه لأجلهـــا.

بتعبــير آخــر، إن الله لم يخلــق الكـــون فحســـب، لكنـــه أيضًـــا يعتـــني بـــه ويحفظـــه بغـــرض تتمـــيم خططـــه.

> لم يخلق الله الكون فحسب، لكنه أيضًا يعتني به ويحفظه بغرض تتميم خططه

فـــإن الخلـــق والعنايـــة الإلهيـــة يســـيران جنبًـــا إلى جنـــب. فبـــدون الخلـــق، لا يمكـــن أن تكـــون هنـــاك عنايـــة إلهيـــة. لكـــن الخليقـــة أيضًـــا غـــير قائمــة بــذاتها، لأن الإلــه الــذي صــنع الكــون هــو أيضًــا الــذي ينظمــه ويــديره حســـب مشـــيئته. ويعـــرض لنـــا الكتـــاب المقـــدس هـــاتين الفكـــرتين بوضـــوح شـديد: «فَإِنَّهُ فِيـهِ خُلِـقَ ٱلْكُـلُّ: مَـا فِي ٱلسَّـمَاوَاتِ وَمَـا عَلَـى ٱلْأَرْضِ، مَـا يُـرَى وَمَـا لَا يُـرَى، سَـوَاءٌ كَـانَ عُرُوشًـا أَمْ سِـيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَـاتٍ أَمْ سَـلَاطِينَ. ٱلْكُـلُّ بِـهِ وَلَـهُ قَـدْ خُلِقَ. ٱلَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ ٱلْكُلُّ» (كولوسي ١: ١٦-١٧).

فـإن الخـالق، الـذي خلـق كـلَّ شـيء لمجـده، هـو الـذي يحفـظ كـلَّ شـيء بقدرتـه.

أمـا بخصـوص الابـن، فـإن التصـريحات الرائعـة الـتي وردت في افتتاحيـة الرسـالة إلى العبرانيـين توضـح الأمـر بطريقـةٍ فريـدة مـن نوعهـا: «ٱللهُ، بَعْـدَ مَـا كَلَّـمَ ٱلْآبَـاءَ بِٱلْأَنْبِيَـاءِ قَـدِيمًا، بِـأَنْوَاعٍ وَطُـرُقٍ كَثِـيرَةٍ، كَلَّمَنَـا فِـي هَـذِهِ ٱلْأَيَّـامِ ٱلْأَخِـيرَةِ فِـي ٱبْنِـهِ، (١) ٱلَّـذِي جَعَلَـهُ وَارِثًـا لِكُـلِّ شَـيْءٍ، (٢) ٱلَّـذِي بِـهِ أَيْضًـا عَمِـلَ ٱلْعَـالَمِينَ، (٣) ٱلَّـذِي، وَهُـوَ بَهَـاءُ مَجْـدِهِ، (٤) وَرَسْـمُ جَـوْهَرِهِ، (٥) وَحَامِـلٌ كُـلَّ ٱلْأَشْـيَاءِ بِكَلِمَـةِ قُدْرَتِـهِ، (٦) بَعْـدَ مَـا صَـنَعَ بِنَفْسِـهِ تَطْهِـيرًا لِخَطَايَانَـا، (٧) جَلَـسَ فِـي يَمِـينِ ٱلْعَظَمَةِ فِي ٱلْأَعَالِي» (عبرانيين ١: ١-٣).

أولاً، اللّه جعـل الابـن وارثًـا لكـلِّ شـيء، حـتى قبـل أن يُخلَـق أيُّ شـيء. فـإن الابـن الأزلي، «ٱلْكَـائِنُ عَلَـى ٱلْكُـلِّ إِلَهًـا مُبَارَكًـا إِلَـى ٱلْأَبَـدِ» (روميـة ٩: ٥)، هـو الخالـق العظيـم الـذي يحمـل هـذا الكـون واسـع الأطـراف. بتعبـير آخـر، الـرب يسـوع هـو الـذي خلـق هـذا الكـون بأكملـه، وهـو الـذي يحفظـه منـذ ذلـك الحـين. يشـمل ذلـك المجـرات، والنجـوم والكواكـب المذهلـة، بالإضـافة إلى أصـغر التفاصـيل الموجـودة في كـلِّ خليـة

إن الخالق، الذي خلق كلَّ شيء لمجده، هو الذي يحفظ كلَّ شيء بقدرته.

من مليارات الخلايا في أجسادنا. فكِّر معي جيدًا. ففي كلِّ دماغٍ بشري، تجري مئة مليون تريليون عملية في الثانية. ليست هذه سوى القليل من الأمثلة المحيِّرة للعقل التي توضح عظمة المسيح، بصفته خالقًا وحافظًا. فإذا رفع يده، سينهار كلُّ شيء (انظر رؤيا ٢٠: ١١). لسنا نعلم كلَّ الأسباب التي جعلت الله يخلق العالم وكلَّ ما فيه، لكننا نعلم أن لا شيء يحدث بمعزل عن عنايته المُحِبة واهتمامه.

يشكِّك الكثيرون في العناية الإلهية في وجه الكوارث الطبيعية، مثل الفيضانات المدمِّرة، والزلازل، والانفجارات البركانية. علينا أن نقرَّ بأن مثل هذه الأحداث مؤسفةٌ بالفعل، لكنها مع ذلك جزءٌ من خطة الله الفائقة لأجل خليقته. وهي لا تنفي، ولا يمكن أن تنفي، كونه إلهًا صالحًا.

لا شيء يحدث بمعزل عن عناية الله المُحِبة واهتمامه. لا يعني ذلك أن تحكُّم الله في كلِّ شيء يتعارض مع وجود دورٍ لنا، شريطة أن نكون في توافقٍ مع الله بالتوبة، والميلاد الجديد، ثم بعمل الروح القدس الساكن فينا. فقد خلقنا الله أشخاصًا مسؤولين، لديهم حرية التصرف داخل نطاق الدوائر التي عيَّنها لنا الله. هذه الحرية قد تسمح بالشرِّ في صورة عصيان الإنسان لمشيئة الله، لكنها لا يمكن أن تلغي ترتيب وإدارة الله لخليقته. وبالتالي، فإن كلَّ الأشياء التي تحدث تعمل معًا لخير الذين يحبون الله، سواء استطعنا إدراك ذلك أم لا. ومع أننا لم ننل شرف معرفة المشورات السرية لمشيئة

اللّه. لكننا نستطيع أن نعرف في يقينٍ أن كلَّ ما يعمله اللّه أو يسمح بحدوثه سيتحوَّل في النهاية إلى خيرنا (رومية ٨: ٢٨).

علاوة على ذلك، لا تلغي العناية الإلهية مسؤولية كلِّ مؤمن، وخضوعه للمساءلة. وهي لا تتعارض أيضًا مع يقين الخلاص الذي يمنحنا إياه الكتاب المقدس، أو مع الإيمان والرجاء اللذين نحتاج إليهما كي نتكل عليه طوال حياتنا. فبسبب إيماننا بالعناية الإلهية، نستطيع أن نحصل على القوة لنتكل على اللّه، حتى عندما تبدو الأمور على غير ما يرام. فإن العيش كمؤمن في هذه الحياة يحمل في طياته أنواعًا مختلفة من الصراعات؛ لكننا نعلم مع ذلك أننا سننال النصرة، وأن اللّه سيحفظنا سالمين إلى النهاية. «وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ ٱلْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ ٱللهَ، ٱلَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ» (رومية ٨: ٢٨). فإن العناية الإلهية تؤدِّي إلى تتميم مقاصد اللّه. بتعبير آخر، تؤدِّي طرق اللّه إلى تتميم مشورته (قصده)، دون أن تلغي على الإطلاق مسؤولية الإنسان. وستظل كيفية اجتماع هذين الأمرين معًا لغزًا غامضًا يحيِّر عقولنا.

بعض النصوص الكتابية عن عناية الله ومشورته (قصده)

تُعَد المقاطع الكتابية التالية ضمن المقاطع الكثيرة التي تؤكِّد ما ذكرناه سابقًا. أولاً، سنقتبس فيما يلي بعض كلمات الحكمة اللافتة للنظر التي قالها الرب يسوع خلال خدمته على الأرض: «اُنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ ٱلسَّمَاءِ: إِنَّهَا

لا تَـزْرَعُ وَلا تَحْصُـدُ وَلا تَجْمَـعُ إِلَـى مَخَـازِنَ، وَأَبُـوكُمُ ٱلسَّـمَاوِيُّ يَقُوتُهَـا. أَلَسْـتُمْ أَنْـتُمْ بِـٱلْحَرِيِّ أَفْضَـلَ مِنْهَـا؟ وَمَـنْ مِـنْكُمْ إِذَا ٱهْـتَمَّ يَقْـدِرُ أَنْ يَزِيـدَ عَلَـى قَامَتِـهِ ذِرَاعًـا وَاحِـدَةً؟ وَلِمَـاذَا تَهْتَمُّـونَ بِٱللِّبَـاسِ؟ تَـأَمَّلُوا زَنَـابِقَ ٱلْحَقْـلِ كَيْـفَ تَنْمُـو! لَـا تَتْعَـبُ وَلا تَغْـزِلُ. وَلَكِـنْ أَقُـولُ لَكُـمْ: إِنَّـهُ وَلا سُـلَيْمَانُ فِـي كُـلِّ مَجْـدِهِ كَـانَ يَلْـبَسُ كَوَاحِـدَةٍ مِنْهَـا. فَـإِنْ كَـانَ عُشْـبُ ٱلْحَقْـلِ ٱلَّـذِي يُوجَـدُ ٱلْيَـوْمَ وَيُطْـرَحُ غَـدًا فِـي ٱلتَّنُّـورِ، يُلْبِسُـهُ ٱللهُ هَكَـذَا، أَفَلَـيْسَ بِـٱلْحَرِيِّ جِـدًّا يُلْبِسُـكُمْ أَنْـتُمْ يَـاقَلِيلِي ٱلإِيمَـانِ؟ فَـلا تَهْتَمُّـوا قَـائِلِينَ: مَـاذَا نَأْكُـلُ؟ أَوْ مَـاذَا نَشْـرَبُ؟ أَوْ مَـاذَا نَلْـبَسُ؟ فَـإِنَّ هَـذِهِ كُلَّهَـا تَطْلُبُهَـا ٱلأُمَـمُ. لأَنَّ أَبَـاكُمُ ٱلسَّـمَاوِيَّ يَعْلَـمُ أَنَّكُـمْ تَحْتَـاجُونَ إِلَـى هَـذِهِ كُلِّهَـا. لَكِـنِ ٱطْلُبُـوا أَوَّلا مَلَكُـوتَ ٱللهِ وَبِـرَّهُ، وَهَـذِهِ كُلُّهَـا تُـزَادُ لَكُـمْ» (مـتى ٦: ٢٦-٣٣). ومن ثَمَّ، فإن عناية الله تعني اهتمامه الشديد والرائع بكلِّ مخلوقاته.

فيمـا يلـي اقتبـاس آخـر مـن كلمـات بـولس وبرنابـا، عنـدما خاطبـا جموعًـا وثنيًّـا أرادوا عبادتهمـا والسـجود لهمـا، بعـدما صـنع الله معجـزة عظيمـة علـى يـدهما. فقـد أشـارا إلى أن الخـالق هـو أيضًـا العائـل والمـدبِّر، الـذي لم يتـرك نفسـه بـلا شـاهد، لكنـه «يَفْعَـلُ خَيْـرًا: يُعْطِينَـا مِـنَ ٱلسَّـمَاءِ أَمْطَـارًا وَأَزْمِنَـةً مُثْمِرَةً، وَيَمْلأُ قُلُوبَنَا طَعَامًا وَسُرُورًا» (أعمال الرسل ١٤: ١٧).

ثم بعـد ذلـك ببضـع سـنوات، تحـدَّث بـولس إلى الشـعب والرؤسـاء في أريـوس بـاغوس، قـائلاً: «أَيُّهَـا ٱلرِّجَـالُ ٱلأَثِينِوِيُّـونَ! أَرَاكُـمْ مِـنْ كُـلِّ وَجْـهٍ كَـأَنَّكُمْ مُتَـدَيِّنُونَ كَثِـيرًا، لأَنَّنِـي بَيْنَمَـا كُنْـتُ أَجْتَـازُ وَأَنْظُـرُ إِلَـى مَعْبُـودَاتِكُمْ، وَجَـدْتُ أَيْضًـا مَـذْبَحًا مَكْتُوبًـا عَلَيْـهِ: «لإِلَـهٍ مَجْهُـولٍ». فَٱلَّـذِي تَتَّقُونَـهُ وَأَنْـتُمْ تَجْهَلُونَـهُ، هَـذَا أَنَـا أُنَـادِي

لَكُمْ بِهِ. ٱلإِلَهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ. هَذَا، إِذْ هُوَ رَبُّ ٱلسَّمَاءِ وَٱلأَرْضِ، لا يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلَ مَصْنُوعَةٍ بِٱلأَيَادِي، وَلا يُخْدَمُ بِأَيَادِي ٱلنَّاسِ كَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى شَيْءٍ، إِذْ هُوَ يُعْطِي ٱلْجَمِيعَ حَيَاةً وَنَفْسًا وَكُلَّ شَيْءٍ. وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ ٱلنَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ ٱلأَرْضِ، وَحَتَمَ بِٱلأَوْقَاتِ ٱلْمُعَيَّنَةِ وَبِحُدُودِ مَسْكَنِهِمْ، لِكَيْ يَطْلُبُوا ٱللهَ لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُوهُ، مَعَ أَنَّهُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لَيْسَ بَعِيدًا. لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ. كَمَا قَالَ بَعْضُ شُعَرَائِكُمْ أَيْضًا: لأَنَّنَا أَيْضًا ذُرِّيَّتُهُ. فَإِذْ نَحْنُ ذُرِّيَّةُ ٱللهِ، لا يَنْبَغِي أَنْ نَظُنَّ أَنَّ ٱللاهُوتَ شَبِيهٌ بِذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ حَجَرٍ نَقْشِ صِنَاعَةِ وَٱخْتِرَاعِ إِنْسَانٍ. فَٱللهُ ٱلآنَ يَأْمُرُ جَمِيعَ ٱلنَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا، مُتَغَاضِيًا عَنْ أَزْمِنَةِ ٱلْجَهْلِ. لأَنَّهُ أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ ٱلْمَسْكُونَةَ بِٱلْعَدْلِ، بِرَجُلٍ قَدْ عَيَّنَهُ، مُقَدِّمًا لِلْجَمِيعِ إِيمَانًا إِذْ أَقَامَهُ مِنَ ٱلأَمْوَاتِ» (أعمال الرسل ١٧: ٢٢-٣١)

إن خالقنا هو الإله الحافظ الذي يريد أن يقيم علاقةً مع البشر. وهو المدبِّر والقائد في كلِّ التاريخ البشري، والذي يريد أن يكون في شركة مع خلائقه. الأمر الذي لا يمكن أن يتحقَّق إلا بفدائه لهم، بصفته الله المخلِّص. وفي سبيل تحقيق تلك الغاية، على هؤلاء الخلائق أن يتركوا الأوثان، في توبة حقيقية، ويقرُّوا بحقوق الله عليهم، عن طريق الخضوع لابنه، الذي سيكون هو الديَّان الأعلى.

لنتأمَّل الآن في مزمور ٣٣: ١٠-١١، الذي يقول: «ٱلرَّبُّ أَبْطَلَ مُؤَامَرَةَ ٱلْأُمَمِ. لاشَى أَفْكَارَ ٱلشُّعُوبِ. أَمَّا مُؤَامَرَةُ ٱلرَّبِّ فَإِلَى ٱلْأَبَدِ تَثْبُتُ. أَفْكَارُ قَلْبِهِ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ». يشهد هذا المقطع المذهل عن التخطيط الكليِّ العلم الذي لخالقنا، حيث إنه صمم كلَّ إنسان حتى من قبل أن يُحبَل به. لكن، لا يلغي ذلك على الإطلاق مسؤولية الإنسان الكاملة. ويبيِّن لنا المزمور ١٣٩ أن عينيَّ الله رأت جسدَنا [غير الكامل – ليس الناقص، بل غير المكتمل بعد]؛ "وَأَنَا مَازِلْتُ جَنِيناً"، بحسب ترجمة كتاب الحياة] – طوال فترة تطوُّره. ولم تكن "أعضاء" هذا الجسد وحدها هي التي "كُتِبت" في سفر الله منذ زمان طويل، بل كُتِبت أيضًا كلُّ "أيامه" أو "آجاله".

في حين يدَّعي علماء التطور في العصر الحديث أن "الجنين" لا يكون بعد شخصًا حقيقيًّا، وبالتالي يمكن إجهاضه بأريحيَّة إذا اختارت الأم ذلك، يُظهِر كلٌّ من الكتاب المقدس والعلم أن الطفل الذي ينمو في الرحم هو إنسانٌ حقيقيٌّ. فقد تمكنت أجهزة تسمَّى "مناظير الأجنَّة" من تتبُّع كلِّ مرحلة من مراحل تطور الجنين، مبيِّنة بوضوح أن الجنين هو إنسانٌ، في كلِّ مرحلة من هذه المرحلة، وليس أنه يمرُّ ببعض المراحل التطور غير بشرية، مثلما قد توحي نظرية "التلخيص الارتقائي" التي قدَّمها علماء التطور.

إلى جانب هذا التطوُّر المعقد للجنين، الذي يفوق الإدراك، ثمة لغزٍ آخر يتعلَّق بكيفية حصول هذا الطفل على نفسه أو روحه. لكن رغم هذا الغموض، كلُّ طفل يكون قطعًا إنسانًا خالدًا منذ لحظة الحَبَل به؛ وكلُّ أيامه

المستقبلية معلومةٌ جيدًا في فكر الله. «إِذْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهَا» (مزمور ١٣٩: ١٦). لكن، ليس هذا كلَّ شيء؛ بل إن جميع الذين يخلصون «أَسْمَاؤُهُمْ مَكْتُوبَةً ... فِي سِفْرِ حَيَاةِ ٱلْخَرُوفِ» (رؤيا ١٣: ٨). وهم أيضًا معيَّنون سابقًا "«يَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ٱبْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ» (رومية ٨: ٢٩).

لكن، بمجرد اتخاذ أحدهم قرارًا واعيًا برفض حقِّ الله ومحبته، يبتدئ هذا الشخص يبغض الله وشعبه. فما قرارك أنت؟ يقول الله: «عَيْنَايَ عَلَى أُمَنَاءِ ٱلأَرْضِ لِكَيْ أُجْلِسَهُمْ مَعِي. ٱلسَّالِكُ طَرِيقًا كَامِلاً هُوَ يَخْدِمُنِي» (مزمور ١٠١: ٦). انظر أيضًا المزيد من المقاطع الكتابية عن خلق الله وعنايته، تكوين ٨: ٢١-٢٢؛ مزمور ١٩: ١-٦؛ مزمور ١٤٥: ١٥-١٦؛ أمثال ١٦: ٣٣؛ متى ١٠: ٢٩؛ أفسس ١: ١١؛ ١تيموثاوس ٦: ١٧-١٩.

ختامًا، استمع جيدًا إلى كلمات الرب يسوع التي جاءت في متى ١١: ٢٥-٣٠. «أَحْمَدُكَ أَيُّهَا ٱلآبُ رَبُّ ٱلسَّمَاءِ وَٱلأَرْضِ، لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ ٱلْحُكَمَاءِ وَٱلْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ. نَعَمْ أَيُّهَا ٱلآبُ، لأَنْ هَكَذَا صَارَتِ ٱلْمَسَرَّةُ أَمَامَكَ. كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ ٱلابْنَ إِلا ٱلآبُ، وَلا أَحَدٌ يَعْرِفُ ٱلآبَ إِلا ٱلابْنُ وَمَنْ أَرَادَ ٱلابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ. تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ ٱلْمُتْعَبِينَ وَٱلثَّقِيلِي ٱلأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. احْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ ٱلْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ».

قيمتنا في نظر الله!

نعيش زمانًا تعلو فيه القيم المادية باكتساح، وتنهار فيه القيم الروحية والأدبية في المقابل بشكل غير مسبوق. ارتفعت فيه قيمة "كل شيء" حرفيًا ولكن في نفس الوقت انهارت فيه "قيمة الإنسان" ذاته، ليس في عيون الحكومات والمؤسسات شرقًا وغربًا، تلك التي لا تتورع أن تورط ملايين البشر في خرب أو نزاع، أو تتسبب في قرارات أحادية في ويلات اقتصادية ومجاعات حقيقية في بلاد بأكملها. رغمًا عن الصرخات الجوفاء بحقوق الإنسان؛ التي في كثير من الأحيان تكون حقًا يراد به باطل وفي مقدمته حرية الإنسان في التمرد على اللّه!

نقول انهارت قيمة الإنسان في عيون كل هؤلاء فحسب، بل وقبل الكل، وفوق الكل انهارت قيمته في عيون نفسه هو شخصيًا؛ وتهددت حالات الانتحار وتنوعها وانتشارها وكثافتها لهي خير دليل على فقدان الإنسان لثقته في نفسه وشعوره بأنه لا قيمة له ولا لحياته.. في هذا الجو القاتم يلمع أمامنا بوضوح قيمة "الإنسان في نظر اللّه". الذي خلق الإنسان على صورته كشبهه، والذي ميزه بإمكانية الشركة والعلاقة معه، والذي أتي اللّه بنفسه ليأخذ صورة الإنسان (ماعدا الخطية) ليفدي الإنسان بحياته المتجسدة! فهل هناك دليل أعظم ولا أروع من ذلك لقيمتنا كبشر في عيني اللّه، خالقنا وفادينا!

القارئ العزيز: ليتك تؤمن بالمسيح اللّه الظاهر في الجسد، وتثق في كفاية عمله الكفاري لأجلك على الصليب، فتتمتع بأروع تعيين وهو أنك غالٍ جدًا في عينيه مهما تكون ظروفك الشخصية، ومهما تأتي به غوائل الأيام!

حياة بولس

«يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ»

(٢كو٢: ١٤-١٦)

تابع ما قبله

٣-تأثير المسيح على أخلاق تابعيه:

وهذا أيضًا واضح كل الوضوح. لقد تغيرات لهجة الحديث. فلا يعود الرسول فيما بعد يحسب نفسه عبدًا، بل خادمًا متحررًا، مواطنًا، صديقًا يحمل المبخرة التي يتصاعد منها البخور العطر فيعطر الجو... والله ينشر به – في كل مكان – رائحة معرفة يسوع الذكية. أينما ذهب ازدادت معرفة الناس بيسوع، وازداد ظهور جمال صفات السيد، واشتم الناس الرائحة العطرية التي انسكبت في الجو، فجذبتهم للناصري. ازداد العالم طهرًا، وازدادت لغة الجماعة نقاء، وازدادت أخلاق وصفات الناس صفاء.

يا لهذا المثل الأعلى، الموضوع أمامنا أجمعين، أن نعيش حتى تنبعث من حياتنا رائحة ذكية، ليست هي رائحتنا، بل رائحة المسيح، حتى وإن كنا لا

نستطيع أن نتكلم كثيرًا، أو نحتل مراكز رئيسية. فلنعش بقربه لكي نتشبع برائحته، وبعد ذلك نخرج لكي ننشرها «فِي طَهَارَةٍ، فِي عِلْمٍ، فِي أَنَاةٍ، فِي لُطْفٍ، فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ، فِي مَحَبَّةٍ بِلاَ رِيَاءٍ، فِي كَلاَمِ الْحَقِّ، فِي قُوَّةِ اللّٰهِ» (٢كو٦: ٦، ٧). وكما تتشبع قطعة من القماش أو الاسفنج برائحة عطرية فتعطر المكان الذي توضع فيه، هكذا ينبغي أن نتشبع بحلاوة المسيح، ونذيعها بقوة لا تقاوم في كل مكان دُعينا لتعيش فيه أو نعمل فيه.

٤.على ان الفكرة تتغير مرة أخرى:

لا يتخيل الرسول نفسه فيما بعد أنه هو اليد التي تحرك المبخرة، بل هو البخور نفسه «لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ لِلّٰهِ» (٢كو٢: ١٥). إن الرائحة توقظ الذاكرة بشكل عجيب. في لحظة تعود بنا إلى سنوات طويلة، وتأتي بنا إلى عطفة قديمة أو حديقة أو بستان، وتذكرنا بأشخاص أو حوادث اقترنت بهذه الرائحة في الماضي السعيد.

إذن، فعندما يقال لنا إننا رائحة المسيح الذكية لله، فإن ذلك يعني أننا يجب أن نعيش، بحيث – وأتكلم هنا بحسب البشر – نعيد إلى ذاكره الله كيف كان يسوع مدة خدمته على الأرض، كأن الله وهو يتطلع إلينا يومًا فيومًا، يرى فينا يسوع، ويتذكر تلك الحياة المباركة التي قُدمت قربانًا وذبيحة لله – رائحة طيبة.

هذا هو المحك للحياة اليومية. هل تنشر حياتي رائحة المسيح؟ هل اللّه يتبين يسوع في سلوكي وحديثي؟ هل توجد فيّ الرائحة الذكية لتلك الذبيحة اليومية، والتلذذ بمشيئة اللّه، والفرح المقدس بالتألم من أجل مجده، والتفاني في إتمام مقاصده، الأمر الذي يجعل حياة ابن الإنسان رائحة ذكية للّه؟

عند سفح جبل الكابيتول، كان ينقسم موكب النصر إلى قسمين؛ فبعض الأسرى كانوا يؤخذون إلى ظلمات سجن "توليانو" حيث تُزهق أرواحهم، والآخرون يُستبقون للحياة. وهكذا كانت نفس الرائحة تقترن بالموتى من الجانب الواحد، وبالأحياء من الجانب الآخر، وهذه هي الحال في كل كرازة بالإنجيل، وكل حياة طاهرة. فالشمس التي تُذيب الشمع تُقسي الفخار، والنور الذي يبيض الكتان يصبغ الأيدي التي تعرضه للشمس، وعمود السحاب كان نورًا لإسرائيل وظلمة لمصر، والذين لهم حياة يعضدهم اللّه لحياة أعمق، والذين ليست لهم حياة يزدادون توغلاً في الخطية... نحن رائحة حياة لحياة البعض، ورائحة موت للآخرين ٢كو٢: ١٦.

على هذا الحال، قضى شاول الطرسوسي سنوات الاستعداد التي سبقت الفرصة المتسعة لخدمته... في الوقت الذي كانت تُغرس فيه تلك الفضائل، كان ينتظر مجيء برنابا.

رسول الأمم

(رو١١، ١٣)

لعل شاول الطرسوسي وهو يقضي سني خدمته الهادئة في كليكية وسورية، كان يُدفع ليرى بوضوح متزايد قصد الله من حياته، وهو أن يكون رسول الأمم. لقد أعلنت الأصوات السماوية في بداية حياته المسيحية أنه يجب أن يُرسل إليهم أع٢٦: ٢٠. وحنانيا ثبل له صراحة بأنه اختير إناء ليحمل اسم يسوع أمام أمم وملوك اع٩: ١٥.

والرؤيا التي أعلنت إليه في الهيكل. تُوجت بهذه الكلمات: «فَإِنِّي سَأُرْسِلُكَ إِلَى الأُمَمِ بَعِيدًا» (أع٢٢: ٢١). ولا شك في أن جهوده، مدة سنوات طويلة وسط أناس من الأمم، جعلته يحس بالتيار الذي كان يحمل كل كنيسة إلى اتجاه جديد. إلى ذلك الوقت، كانت الديانة اليهودية هي الباب الوحيد للمسيحية. بعد ذلك كان يجب أن يُفتح باب الإيمان واسعًا إلى الأمم أيضًا دون أن يُختتنوا. هذا ما نتبينه من كلماته هو نفسه: «أَخْبَرْتُ أَوَّلاً الَّذِينَ فِي دِمَشْقَ، وَفِي أُورُشَلِيمَ حَتَّى جَمِيعِ كُورَةِ الْيَهُودِيَّةِ، ثُمَّ الأُمَمَ، أَنْ يَتُوبُوا وَيَرْجِعُوا إِلَى اللهِ عَامِلِينَ أَعْمَالاً تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ» (أع٢٦: ٢٠). ومع ذلك ظل القصد الحقيقي مخفيًا، حتى بينته الظروف التي سنتأمل فيها في العدد القادم

تأملات هادئة

أ. ميلر

«مَا أَجْمَلَكِ وَمَا أَحْلاَكِ أَيَّتُهَا الْحَبِيبَةُ بِاللَّذَّاتِ»

(نش٧: ٦)

كثيرون يُعجبون بالعروس أما العريس فمسرته بها. ومن خلال طول أناة نعمته؛ فإنه يجد صورته المعنوية مزخرفة فيها. وإذ يلمع فيها يجد سروره وكلما يجد ذلك فينا، فإنه يجد سروره فينا.

إن الشخص المستقيم لا يجد سروره في طرق غير الشريف، والأمين لا يجد سروره فيمن غير الأمين. والشخص السوي ليست له شركة مع شخص يحاول جذبه خلال أمور ملتويه وطبيعة أقل من مستواه بل ويجد سروره في كل ما هو صواب، والأمين في كل أمانة والصادق في كل ما هو صدق، ولذلك فالرب يسوع المبارك يجد مسرته في كل ما يشابهه في مسلكه.

وكم حاجتي أن أمارس هذا الدرس عمليًا من خلال هذه الحقيقة. يا نفسي: فكري في محبته وقداسته وفي كل طرقه الكاملة. ثم تسألين إلى أي مدى تنعكس فيك صورة المسيح؛ هل يرى صورته فيك؟ وبالتبعية إلى أي مدى يجد سروره فيك؟ لا تقاوم هذا التساؤل – في النور – وامتحن طرقك العملية. وابحث فيما يتعلق بشخصه الكريم الذي شرفنا أن نتبعه كمثال يُحتذى في سلوكه.

ولكن وسط ضعفاتنا؛ فمما يعزينا أن نعرف في يوم ظهوره بالمجد، سيحيط به من أحبهم ووجد فيهم مسرته، القديسون في العلا «إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ» (١يو٣: ٢) ويطيب لنفوسنا التي تحبه أن تسمع من شفتيه قوله «مَا أَجْمَلَكِ وَمَا أَحْلاَكِ أَيَّتُهَا الْحَبِيبَةُ بِاللَّذَّاتِ»

من روائع الكلمة

السيد الذي يفتخر بعبده!

على مر التاريخ لطالما رأينا العبيد الذين يفتخرون بسادتهم، والموظفون الذين يفتخرون بمؤسساتهم التي يعملون بها، ورجال القصر الذين ينشدون الأشعار في سيد القصر الذي يعملون لديه، لكنه وضع مميز وفريد في كل التاريخ أن نقرأ هن عبد يفتخر به سيده! ولكن حقًا ياله من سيد!... وياله من عبد!!

في نبوة إشعياء يتحدث الرب «يهوه» عن المسيا (المسيح) باعتباره عبد يهوه البار على الأقل في أربعة أصحاحات شهيرة هي: إشعياء ٤٢، ٤٩، ٥٠،٥٣ وفي هذه الأصحاحات يأخذنا العجب كله «مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا» (إش٥٣: ١).

فعلاً عندما نرى السيد «يهوه» يتحدث بكل الفخر والحب، والأعتزاز بعبده (المسيح ط

كالعبد الكامل- في ٢) فيقول عنه «عبدي...مختاري...حبيبي...»...الخ!

والحقيقة أن هذا السيد العظيم «أدوناي»: الجالس على الكرسي العالي والمرتفع (إش ٦) «الْجَالِسُ عَلَى كُرَةِ الأَرْضِ وَسُكَّانُهَا كَالْجُنْدُبِ»(إش ٤٠: ٢٢) هو وحده صاحب التقييم الصحيح للجميع. وكما أن هذا السيد لا نظير له، هكذا هذا العبد المجيد لا مثيل له: في كماله واتضاعه، في محبته و تعبه، في خضوعه وطاعته...في كل شيء.